

الطبعى عبد الوهاب يحيى

دكتوراه الفلسفة في التاريخ من جامعة لندن
مدرس التاريخ القديم بجامعة الاسكندرية

أثر العالم الجغرافى فى تاريخ أئتنا

مطبعة دار نشر الثقافة

٥ شارع مصرى كرم بلسك الاسكندرية

١٩٥٦

اهداءات ٢٠٠١

ا.د/ المرحوم زكى على

للقاهرة

الإمامان زكي ع
علاء الدين محمد بن تاج الدين
أستاذ
الشيخ
يناير ١٩٥٦

لطيف عبد الوهاب يحيى

دكتوراه الفقه في التاريخ من جامعة لندن
مدرس التاريخ القديم بجامعة الاسكندرية

أثر العالم الجغرافي في تاريخ أئمتنا

مطبعة دار نشر الثقافة
٥ شارع مصر، بورسعيد، الإسكندرية

١٩٥٦

اقتصار الكلام على أثينا في هذا البحث لا يبقئ أنها تعرضت لعوامل جغرافية غير تلك التي خضعت لها بلاد اليونان بوجه عام أو أنها اختلفت عنها في هذا المجال اختلافا كبيرا أو جوهريا ، فقد كانت العوامل الجغرافية التي سادت العالم اليوناني في مجموعه آثار مشتركة ظهرت في صخور واتجاهات متجانسة من الحياة العامة عند سكان هذه المناطق وكان من نتائجها ظهور جانب كبير من التراث السياسي والحضاري الذي خلفه اليونان والذي يصف بيونانيته قبل أن يتنسئ إلى هذه المنطقة أو تلك أو هذه المدينة أو تلك من مناطق العالم اليوناني ومده . فالتناخ الذي يميل إلى الحرارة كان سببا في القنف بالحياة الاجتماعية عند اليونان إلى الأماكن المكشوفة ، فكانت السوق هي المكان الذي اتخذوه لاجتماعاتهم السياسية ، وكان المسرح المكشوف هو المكان الذي خلدوا فيه عظماهم الأدبية وكانت الألعاب الرياضية أو الأولمبية التي تمارس بالضرورة في أماكن خلوية تكون جانبا هاما من اجتماعاتهم الدولية التي يعقدونها في أثينا أو في كورنث أو في غيرها من بلاد اليونان لمناسبات دينية أو سياسية . كذلك كان إجداب القربة وإقفار البلاد بوجه عام وراء الهجرات التي تمت على فترات واسعة والتي دفعت العناصر اليونانية المختلفة من دوريين وأخيين وأيونيين منذ بداية القرن الثاني عشر ق م . ، سعيا وراء الرزق ، إلى الاستيطان على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وفي الأماكن المحددة بمنطقة الملبسبون ، كما كان سببا في اتجاه اليونان بوجه عام إلى ركوب البحر كتجار أو ، إذا تملز ذلك ، كقرصنة فكلتا الحرفتين كانت معترفا بها كوسيلة لكسب العيش ، وإلى العمل كجنود مرتزقة سواء كان ذلك عند بني جلسهم من اليونان أو عند المصريين والفرس وباقي الممالك والإمارات الشرقية ، وأخيرا فقد كانت الحواجز الجبلية التي تخترق بلاد اليونان طسولا وعرضا فتقسما إلى مناطق صغيرة في شبه عزلة بعضها عن البعض الآخر ، أحد الأسباب التي جعلت النظام السياسي السائد في بلاد اليونان هو نظام الدولة الصغيرة التي لا تزيد في أغلب الأحوال عن مدينة واحدة ومساحة محدودة

من الضواحي أو الأراضى التى تحيط بها وتبجها .
 اشتركت أثينا مع باقى بلاد اليونان فى هذه الظروف الجغرافية وفى الآثار التاريخية
 والحضارية التى نجحت عنها ، ولكنها ، فى مقام التفاصيل التى تتطوى تحت هذه
 الظروف العامة ، اختلفت ، بل اختلفت فى كثير من الأحيان ، عن غيرها من مناطق
 العالم اليونانى بالشكل الذى ابتعد بها فى أكثر من جانب من جوانب تاريخها
 وحضارتها عن أن تكون نسخة مكررة من أية بلد يونانية أخرى . هذه التفاصيل
 أو العوامل الجغرافية الخاصة والآثار التى ترتبت عليها هى التى سأحاول دراستها ،
 وفى هذا الصدد سأتكلم عن الآثار الحضارية بوجه عام ولكنى سأفصل القول بوجه
 خاص عن الناحية السياسية ، داخلية كانت أو خارجية ، وعن الأثر الاقتصادى
 الذى وجه ، إلى حد كبير ، الجانب السياسى بثقافة . وفى هذه الدراسة لن ألزم
 ترتيباً أو تقسيماً جغرافياً معيناً ، وإنما سأجمع أو أفرق بين الظروف أو العوامل
 الجغرافية بقدر ما كان لها من أثر مشترك أو مستقل على ناحية أو أخرى من نواحي
 التاريخ الأثينى ، واعتاداً على هذا سأتحدث فى المقام الأول عن الظروف التى ارتبطت
 بالمحصول الزراعى ، وبخاصة من الحبوب ، فى أثينا ، ثم أتوذلك بالحديث عن نصيب
 هذه المنطقة من الثروة المعدنية والحجرية ، وفى النهاية سيكون الكلام عن الموقع الجغرافى
 والتضاريس بوجه عام . بقيت قطعة أود الإشارة إليها - رغم وضوحها - لصالح
 الدارس المبتدئ ، وهى أنى فى كلامى عن أثينا ، ستكون إشارتى فى أغلب الأحوال
 إلى أثينا ، وهى المنطقة التى تنتظم ، إلى جانب أثينا ، الأراضى أو الضواحي التى
 تحيط بها وتتخذها مركزاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً .

- المثلخ والقرية
- أثر ذلك في السياسة الخارجية
- أثرها في الناحية الداخلية

إذا كانت بلاد اليونان ، كباقي مناطق البحر الأبيض ، تميل إلى الجفاف ، فإن أتیکا تعتبر أكثر مناطق بلاد اليونان جفافاً على الإطلاق ، إذ لا يزيد منسوب المطر فيها عن ٤٠ سنتيمتراً في العام ^(١) ، ثم هي ، إلى جانب جفافها ، على جانب كبير من العودة في سطحها ، فمساحة المناطق الجبلية فيها تبلغ ٦٣,٧ ٪ من مساحة أراضيها مجتمعة ^(٢) ، الأمر الذي حداً باللاطون أن يسميها بالميكسل العظمى ، الذي تبرز ضلوعه على شكل تودات كبيرة من الحجر ^(٣) أما الأماكن التي تصلح نسياً للزراعة فتتصر في المناطق السهلية المتواضعة الاتساع التي تحوطها الجبال وهي سهل ثريا Thria الذي يقع على الساحل بالقرب من إليوسيس ومساحته ٩٤ كم مربعاً وسهل كفسوس Kephissos الذي تقع فيه أثينا ومساحته ١٣٠ كم وسهل الأراضي الوسطى Mesogaea الذي يقع بين جبال هيميتس Hymettos وجبال بتاكوس Pentelikos ومساحته ٧٢ كم ثم سهل ماراثون Marathon في شرق شبه الجزيرة وهو أصغر السهول الأربعة إذ لا تزيد مساحته عن ١٥ كم ^(٤) . على أن هذه السهول على صغر مساحتها ، ليست على جانب كبير من الخصوبة ، حقيقة إن لها إنتاجاً لا بأس به من الكروم والزيتون ، وهي الأنواع التي تصلح للزراعة في المناطق الجافة القليلة الخصوبة ، مما جعل بعض الكتاب القدماء يصفون أتیکا بأنها من الناحية الزراعية تضارع أي إقليم آخر ^(٥) ، ولكن تربتها من النوع الفقير في إنتاجه الحبوب فالمجصول كان لا يسد ربع أو ثلث حاجة السكان ، وأكثر من هذا فقد كان أغلبه من الشعير ، أما القمح فكانت نسبتة لا تزيد عن ١,٢٥ ٪ من المحصول

الكلى (٦) وقد سجل القدماء هذه الحقيقة في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة
ثوكريدديس وسترابون يصفان أتيكا بأنها أقل خصوبة من لاكونيا ، وديموسثينز
يتحدث ، على لسان أحد عملائه ، عن فاينبوس ، أحد أغنياء أثينا ، ومع ذلك
فالمساحة الصالحة للزراعة من أراضيه تقل عن ربع المساحة التي يملكها ، كما تسجل لنا
إحدى الوثائق التي عثر عليها في إلبويس أن محصول أتيكا من الحبوب لم يزد في
٣٢٩ ق. م. عن ٤٠٢,٥١٢ مدينوس بينما كان يلزم سكان أتيكا نحو مليون
ونصف مليون مدينوس (٧) .

هذه هي بوجه عام إمكانيات أتيكا الزراعية ، وبخاصة فيما يتعلق باتساع
الحبوب ، وهي التي كانت عند اليونان ، كما كانت ولا تزال تكون عند باقي مناطق
البحر الأبيض ، الجانب الرئيسي من غذاء السكان . وقد كان لهذا أثره الواضح في
سياسة أثينا الخارجية التي سارت منذ البداية في تيار واضح يرمي قبل كل شيء إلى
أن يضمن لها ما يسد حاجة أبنائها من الحبوب ، وهكذا بدأت تنظر إلى المناطق
المحيطة بالبحر الأسود الغنية بمحصولها من الحبوب ، وقد ظهر هذا التيار في بادئ
الأمر في شكل استيراد الحبوب من هذه المناطق ، ولكن أمرا آخر لم يلبث أن صيغ
هذا الاتجاه بصورة جديدة ، فأثينا لم تكن الدولة الوحيدة التي اتجه لقاطها لسبب أو
لآخر إلى هذه البقعة ، بل كانت هناك أرجوس وكورنثوس وكانت هناك ، إلى جانب
هاتين ، متليين Mytilene التي امتد نفوذها وملكاتها إلى شواطئ مضيق الهسبوننت .
وعلى هذا فليس هناك ما يضمن للسفن الأثينية المحملة بالقمح أن تقطع طريقها إلى
أثينا في دعة وأمن إذا عن لأرجوس أو كورنثوس أو متليين أن تضيق عليها الخناق
في سبيل تنافس تجارى أو غير تجارى . وهكذا تنجأ أثينا إلى تحصين ما أصبحت
تعتبره طريقها الحيوى بمد نفوذها السياسى إلى هذه المناطق .

بدأ ذلك في أواخر القرن السابع حين استولت أثينا على حصن سيجيون
Sigeon الواقع على الشاطئ الإسيزوى في مدخل مضيق الهسبوننت والذي كان

يتبع إذ ذاك جزيرة لسبوس ، واعتمدت في ذلك على صداقتها لميليتوس ، مؤسسة أكثر المستعمرات اليونانية في هذه المنطقة ، وإذا كانت سيجيون قد خرجت من نفود أثينا في الفترة التي تلت ذلك بسبب عدا ميتليي التي قابلت الحركة الأثينية ببناء حصن أخيليون Achilleon فسدت الطريق أمام الأثينيين وبسبب انشغال أثينا إذ ذاك بأمرها الداخلي التي ارتبكت إلى حد كبير في أواخر عهد الأرستقراطية ، فإن أم ما حققته الأثينيون في الميدان الخارجي ، بعد أن دعم بيرستراتوس حكمه على اقتراض الحكم الأرستقراطي ، هو أن يستولوا مرة أخرى على سيجيون في ٥٣٢ - ٥٣١ ق.م. ، وقد أبدى بيرستراتوس مقدار اهتمامه بهذه الخطوة بأن أرسل أحد أبنائه ليكون حاكما على الحصن ، كما زاد من تدعيمه لموقف أثينا في هذه المنطقة بأن أرسل ميثياديس ، أحد زعماء حزب السهل وعم ميثياديس الذي سيقود القوات الأثينية في أثناء الحروب الفارسية ، ليؤسس مستعمرة أثينية في سستوس Sestos على الشاطئ الأوربي للمقابل لسيجيون وليستول على شبه جزيرة الخرسوبوروس ثم يحصنها ضد الغزو من الشمال ببناء حائط يمتد من كارديا إلى باكتي Paktye^(٨) .

ولم يكن هذا التوسع الذي دعمه بيرستراتوس إلا بداية الاتجاه نحو الشرق من جانب أثينا ، هذا الاتجاه الذي سيشكل سنياساتها الخارجية إلى حد كبير في القرن الخامس وإلى حد أكبر في القرن الرابع ق.م. فهيرودوت يتكلم عن عشرين مركبا وافق مجلس العامة الأثيني Ekklesia على إرسالها إلى شرق بحر إيجه لمعارضة المدن الآيونية في ثورتها ضد الملك الفارسي^(٩) . وقد يكون إرسال هذه القوة الحربية إلى الشرق ، كما يميل هيرودوت إلى الاعتقاد ، واجما إلى اقتناع الأثينيين بوجهة نظر أريستاجوراس الذي ذكره بأن ميليتوس ، التي تزعمت الثورة ، قامت في البداية على أكثاف المهاجرين من الأثينيين وأن لها ، تبعاً لذلك ، حقا على أثينا ، وقد يكون راجعاً إليها كذلك إلى حالة التوتر التي كانت قد بدأت تسود بين الأثينيين والفرس ،

ولكنه على أى الحالين اتجهوا إلى الشرق . يبين مدى حساسية السياسة الخارجية
الآثينية فيما يتعلق بهذه المنطقة التى تشرف على الطريق الحيوى للأثينيين .

فإذا توغلنا فى القرن الخامس حتى نصل إلى الحروب البلو يونية وجدنا عدم
الاكتفاء الذاتى من ناحية للحصول الزراعى ، الذى دفع بأثينا دفعا إلى طريق الشرق ،
تظهر بوضوح فى الصراع بين عملاقى العالم الحلىق إذ ذاك ، فاسبرطة التى كانت قد عقدت
أمرها على رحضة أثينا من زعامتها بأية وسيلة ستنتبه إلى نقطة الضعف التى تشكو
منها أثينا وتستغلها بأقصى ما تستطيع بذله من جهد ومهارة ، وهكذا ستكون
الحملات الاسبرطية على أثينا ، وبخاصة فى البداية ، مجرد غارات ترمى قبل كل شئ . إلى
تدمير محصول أتيكا حتى يصبح الآثينيون تحت رحمة اسبرطة ، يظهر هذا جليا فى
حملة ٤٣١ التى اختار أرخيدامس وقتها حين كان محصول الحبوب يشارف النضوج
والذى بدأ فيها بتخريب حقول إليوسيس وثريا (١٠) كما يظهر فى حملة ٤٢٧ التى تمتاز ،
كما يروى لنا ثوكيديدس ، بكثير من التدمير ، والذى اتخذ القائد الاسبرطى فى
أثناءها إقليم أcharnae إحدى مناطق أتيكا ، مقرا لقيادته بوجه منه حملات
التخريب التى يصفها الشاعر أرسطوفانيس ، بعد أن دفعته فظاعة التدمير إلى مهاجمة
مناصرى الاستمرار فى الحرب ، حين يتكلم عن سكان أخارنيا وقد ونصب محصولهم
من الحبوب وجفت أشجارهم (١١) وأخيرا فإذا كانت اسبرطة قد بدأت
حملتها بتخريب محصولات أتيكا فإنها قد سددت الضربة القاضية لثريتها فى
البحر بونامى التى تشرف على مدخل الملبونوت وتحكم ، تبعاً لذلك ، فى بداية الطريق
الحيوى الآثينى .

على أن اسبرطة لم تكن فيما قامت به إلا أول من تنبه لنقطة النصف الآثينية ونجح
فى استغلالها ، وسيشهد القرن الرابع سلسلة متصلة من مناورات أعداء أثينا الذين
جعلوا من مضيق الملبونوت وباقى الشواطئ الإيجية المطلة على طريق الحبوب إلى
أثينا مجالاً لمتاورتهم ، ففى حرب الخلفاء التى قامت بين أثينا وأعضاء حلفها الثانى

في الفترة ما بين ٣٥٧ و٣٥٥ والتي اشترك في إثارتها إلى حنسا موسولس حاكم كلاريا من قبل الامبراطور الفارسي من ناحية وتزعمتها بيزانتيوم من ناحية أخرى بينما استغلها فيليب لمضايقة أثينا من جهة ثانية، نجد بيزانتيوم تعتمد إلى مهاجمة قوافل الحبوب الآثينية وتحالف في سيليل ذلك مع سلبيريا وغلقدون (١٢). كذلك ستكون منطقة الخرسونيزوس المطلة على طريق هذه القوافل ميدانا للبد والجزر السياسي بين أثينا وفيليب بعد أن يموت كوتيس ملك تراقيا ويقسم ملكه كل من كرسبيليس وأندوكس وبريساديس ، وسيليل من ازدحام هذه المنطقة باللفاظ السياسي في أثناء هذه الفترة (الأمر الذي يظهر مقدار اهتمام الآثينيين بها) أن ترسل أثينا إليها بثلاثة من أظهر قوادها في القرن الرابع وهم خاريس وخابرياس وخاريديموس وأن يحاكم بسببها أحد هؤلاء ، خاريديموس ، لخطأ في تكتيكه السياسي ويحكم عليه بالاعدام ، حين ينجر من ذلك بأصعوبة يواجه فزاعة مالية فادحة ، وأن ينظر بخاريس في نهاية نشاطه الحربي فيها سنة ٣٥٢ أن يذبح جانباً من سكانها ويلازل بالجانب الآخر إلى مرتبة الرقيق قبل أن يذهبهم المهيمنة الآثينية فيها (١٣).

على أن فيليب ، رغم مجيئه متأخرا من الناحية الزمنية ، يعتبر بحق أمهر من أدرك نقطة الضعف الآثينية وعرف كيف يستغلها بالهكل الذي يمكنه في النهاية من القضاء ليس على قوة أثينا في الخارج فحسب ، بل على استقلالها كذلك ، فتاوردت فيليب ومناوشاته مع أثينا سلسلة من منظمة من تضيق الخناق على النفوذ الآثيني في سواحل بحر إيجه المطلة على طريق الحبوب الآثينية من شواطئ البحر الأسود ففي ٣٥٨ يبدأ تهديده لمدينة أمفيبوليس Amphipolis وفي ٣٥٤ تسقط أمام قواه مشوي Methone آخر ممتلكات أثينا على الخليج الثراسي ، وفي ٣٥١ يبدأ تهديده لاولنتوس Olynthos ، التي تطل على طريق الحبوب من الشمال ، ويجهل بعض أفراد الجالية الآثينية من إمبروس ولنتوس ، الجزيرتين الرابعتين على مدخل الهلبونت ، وفي ٣٤٩ تزحف قواتها لاجمة ولنتوس التي حاول ديموستين في ثلاث

مناسبات أن يستحث الأثينيين على مساعدتها ، والتي ستسقط نهائيا في يد فيليب في السنة التالية (١٤) .

على أن ميدان السياسة الخارجية الذي تأثر إلى حد كبير بعدم اكتفاء أثينا من ناحية الحبوب وباتجاهها إلى الشرق في سبيل سد هذه الثغرة ، لم يكن كله خصومات ، بل إلى جانب متاورات أثينا مع أعدائها واستغلال هؤلاء الأعداء لنقطة ضعفها وجدت مناسبات ودية تأثرت كذلك بسياسة القمع التي أصبحت إلى حد كبير محور السياسة الأثينية وظهرت في صورة اتفاقات مع المناطق المصدرة للقمح مد فيها أحكام هذه المناطق يدم إلى أثينا في أرضها الاقتصادية من جانب ، ومنحهم أثينا أقصى ما تستطيع من تكريم من الجانب الآخر . مثال ذلك الاتفاق الذي قام مع ليوكون Leukon حاكم منطقة كيريون Kimmerion (القرم الحالية) بين ٣٩٣ و ٣٥٢ واستمر بعد ذلك في عهد ابنه سبارتاكوس Spartakos وبايريساديس Paerisades والذي أضفوا بمقتضاه التجار الذين يرسلون حبوبا من هذه المنطقة لأثينا من الرسوم الجمركية المقررة التي تبلغ جزءا من ثلاثين من قيمة الحبوب المصدرة وفي هذا المقام يذكر لنا ديموستينير أن كالستينس Kallisthenes الذي كان يقوم بمهمة الإشراف على استيراد القمح تسلم من ليوكون ، كنتيجة لهذا الإعفاء ، مقدارا من الحبوب يبلغ من وفرته أن فعلى احتياجات أثينا وبقيت كمية يبعث في الخارج بمبلغ خمسة عشر تالنتا . وقد كافأت أثينا ليوكون على ذلك فمنحته حقوق المواطن الأثيني مع إعفائه من الخدمات العامة Leittourgia ومن دفع الجرك على أي بضائع له في ميناء البيراينوس كما يظهر أحد محاضر جلسات مجلس العامة الأثيني قرارا بتاريخ ٣٤٧ - ٣٣٩ يكرم فيه الأثينيون ابني ليوكون (١٥) .

ولكن السياسة الخارجية الأثينية لم تكن كل ما تأثر بمشكلة القمع بل امتد تأثير هذه المشكلة ليرتك طابعه على جانب كبير من حياة الأثينيين داخل مدينتهم ، في سياستهم وفي دستورهم بل وفي حياتهم اليومية ، فالاحتكاكات الدولية التي وجدت

أثينا نفسها مسوقة إليها بدافع المحافظة على قودما في الأماكن التي تطل على طريقها
 المسمى كان لما صدها الواضح في التيارات السياسية داخل أثينا ، فظهر من الساسة
 الأثينيين من رأى في سياسة المقاومة الحربية في هذه المنطقة المخرج الوحيد من
 الأزمات الدولية التي وقعت فيها أثينا ، وقد تزعم هذا الاتجاه ديموستينس الذي
 ماقي. منذ ظهور مقدونيا يحلر الأثينيين ضد نوايا فيليب الذي كان يرمى إلى مد
 نفوذه ليس في داخل بلاد اليونان فحسب، ولكن شرقا إلى منطقة الحبسونت ،
 وخطب ديموستينس عن أوليثوس وعن سياسة فيليب وعن الحرسونديوس لا نكاد
 جملة منها تخار من مثل هذا التحذير ، وقد تبع ذلك محاولة هذا السيامي تحويل
 قاض الميزانية من خزينة أموال المسرح theorikon التي كان ينفق منها على الحفلات
 العامة والأعياد الدينية وغيرها إلى خزينة الأموال العسكرية stratotika التي
 كان ينفق منها على شئون الدفاع وما استتبع ذلك من مناورات سياسية استمرت
 لسنوات عدة سنة في مد وجزر بين ديموستينس ونصومو السياسيين وانتهت
 بنجاحه في تحقيق غرضه ولكن بعد أن أفلتت من يد أثينا كل فرصة في استعادة
 نفوذها (١٦). أما التيار الآخر فقد رأى أنصاره أن خير سبيل لتأمين تجارة القمح الأثينية
 في الشرق هي احتياج سياسة السلم والمهادنة في هذه المنطقة، ومن أبرز الشخصيات التي
 لحمت في هذا الاتجاه السيامي إيسكراتيس Aesokrates وإيسخين Aeschines
 ويوبولس Euboulos وغيرهم سواء من القسامين على شئون الحكم في أثينا أو من
 الخطباء السياسيين الذين أقاموا من أنفسهم أوصياء على مصير أثينا في تلك الفترة
 التي بدأ فيها العامل الدولي يبرز في كثير من الموضوع في شئون بلاد اليونان وبدأت
 تظهر ، في أعقاب هذا العنصر الدولي ، قوى جديدة أهمها القوة المقدونية .
 ومن المواقف التي ظهر فيه هذا الاتجاه السلمي ، الصلح الذي تم بين أثينا وأعضاء
 حلفها الثاني في ٣٥٠ والذي اعترفت فيه أثينا باستقلالهم وكان يتزعم الفئة المتنادية
 بالصلح يوبولس في الفترة التي تولى فيها الإدارة المالية كما كان أكبر داعية له

الإسكرايس الذى استخدم فى نشر دأياته كل ما محتواه جعبة الخطيب السياسى المحرب حين يخاطب الأثينيين بقوله ، إن مثل هذا السلام يحرككم من ضربة الدفاع ومن الأعباء المالية التى تترتب على تميز الأسطول كما سيفتح الطريق مرة أخرى أمام التجار . . . وسيبقى على غاؤف كرسبليطيس Kersobleptes وفيليب ، اللذين يخشيان ، ولما عذرها ، جوار النفوذ الأثينى المتسحر للإيقاع بهم ، (١٧) .

هذه ، على سبيل المثال ، بعض المواقف التى تأثرت فيها السياسة الداخلية الأثينية فى اتجاه أو آخر بمشكلة القمع . على أن تأثير هذه المشكلة لم يكن بأقل أهمية من ذلك فى الجانب الدستورى من حياة الأثينيين . ففى ٤٤٥ - ٤٤٤ حين يرسل أحد الحكام الشرقيين ثلاثين ألف مندموس من القمع كهدية للأثينيين ، ينفذ لأول مرة القانون الخاص بحقوق المواطن الذى اقترحه بركليس ووافق عليه مجلس الأكادريا منذ ٤٥١ - ٤٥٠ وظل مع ذلك دون تنفيذ ، والذى يقضى بالآ يتنع بالمواطنة الأثينية إلا من ولد لأبوين أثينيين (١٨) ، وقد كان من نتيجة تنفيذ هذا القانون أن خفض عدد المواطنين إلى نحو ١٤ أو ١٥ ألفاً هم وحدهم الذين وزعت بينهم هدية الحبوب . حقيقة إن الباعث الأساسى على تنفيذ ذلك القانون فى تلك اللحظة قد يكون مناوذاً بركليس الحزبية التى كان يرى من ورائها إلى اقتراح التضيد الضعيف من خصومه السياسيين بأن يستغل شعور الثغرة الذى يسود بشكل متفاوت بين الأثينى الحر والأثينى والمولود فيلوج بقصر حقوق المواطن على الأثينيين الأحرار . بما يؤدى إلى ارتفاع نصيب كل منهم من هدية الحبوب . ولكن ، مهما يكن الأمر ، فقد ظهرت مشكلة القمع كمحور لتنفيذ القانون الجديد إن لم يكن كأساس حقيقى فكحقيقة استخدمت فى معرض التفسير .

أما عن التشريع المباشر الذى انصب على مشكلة القمع فيظهر فى أكثر من موضع فى القوانين الأثينية ، وفى هذا المجال يذكر لنا بلوتارخوس أن أول لائحة من القوانين التى يطويع عليها دستور سولون تضع القمع بين المحصولات المحظورة

تصدربها إلى خارج البلاد (١٩). وأرسطو يحدثنا في « دستور الأثينيين » عن اللجنة التي كانت تتولى القيام على شئون القمح Sitophylakoi ، وقد كانت منه تضم في بادئ الأمر عشرة أعضاء يختارون بطريق الاقتراع ، خمسة عن منطقة المدينة ومثلهم عن ميناء البيرايوس ، ثم زاد عدد الأعضاء فيما بعد تبعا لزيادة الاهمية التي أصبحت أثينا تعلقها على مسألة تموين سوقها بالمقادير اللازمة من الحبوب ، فبلغ خمسة وثلاثين عضوا ، عشرون منهم للدينة والباقي للميناء . أما عن واجباتهم فهي التأكيد من يبيع الحبوب في السوق الأثينية بثمان مقول ، ومراقبة أصحاب المطاحن حتى يبيعوا دقيق الشعير بثمان مناسب للثمن المعهود ، والإشراف على الخبازين حتى يبيعوا أرشفة الخبز بثمان يتناسب مع ثمن القمح وبالوزن الذي يحدده المراقبون ، إذ يحتم القانون على هؤلاء أن يحددوا الوزن العادي للمقول الرقيق . وهناك أيضا عشرة مشرفون آخرون epimeletai tou emporiou مهمتهم مراقبة السوق وإظام التجار . على أن يمحضروا إلى سوق المدينة ثلث مقادير الحبوب التي تأتي إلى السوق العامة (٢٠) ومن الواجبات التي يفرضها لسياس إلى المشرفين على شئون القمح تحديد الكمية للقانونية التي لا يجب على تجار القمح Sitopoi أن يحصلوا على أكثر منها حتى لا ينسحق لأحدهم أن يحتكر السوق بأية صورة من الصور (٢١) ، كما يحدثنا ديموستين عن تحريم القانون على أي أجنبي أو أي شخص يقيم في أثينا أن ينقل قمحا إلى ميناء أخرى غير مينائها (٢٢) . وأخيرا فإذا كان القانون دقيقا في تنظيم كل ما يتعلق بمسألة القمح من أمور فقد كان كذلك شديدا في تنفيذ كل ما يمتنع عنه هذا التنظيم من تعطلات ، وإذا كان لنا أن نصديق بولكس Pollux ، فقد بلغ من ضاية أولى الأمر في أثينا بالقضايا التي تعلق بشئون القمح أن جعلوا الفصل فيها يتم في مكان خاص هو مبنى الأوديون الذي تسلب لإقامته إلى بركليس (٢٣) .

ولم تكن مشكلة القمح بأقل ظهورا في حياة الأثينيين الاجتماعية اليومية منها في دستورهم وسياساتهم الخارجية وقد اصططحت في هذا الصدد بكل ما تحويه حياة

الأفراد والجماعات من غير وشر وبساطة وتعقيد وتزاحم في حيل البقاء واستغلال
لهذا التزاحم ، فمن نرى الأثينيين في وقت من أوقات الشدة وقد ازدحم المقيعون
منهم في المدينة أمام مبنى الأوديون حيث يوزع عليهم أولو الأمر ما تبقى في السوق
من دقيق الشعير ، بينما هرع المقيعون في منطقة الميناء إلى خيخ يقسم بينهم الخبز
الموجود ، بمقدار محدد وبشئ محدد وهم يكادون يموتون من الإحرام (٢٤) ، ومرة
نرى بعض الأجانب المقيمين في أثينا Metoikoi يسهمون في حل أزمة القمح حين
يرتفع ثمن المديمنوس حتى يبلغ ١٦ دراخمة ، فيستوردون عشرة آلاف مديمنوس
من الدقيق ويوزعونها على الأثينيين في مبنى البومييون بالثمن المعتاد وهو خمس
دراخمت ، كما يبرحون في مناسبة أخرى بمبلغ ثالث لشراء حبوب للشعب . أما
الجانبا الأخر من الصورة فنرى فيه الحيل التي كان يلجأ إليها بعض التجار حتى
يحكمهم أن يشتكروا سوق القمح وأن يلاعبوا بالتالي في أسعاره . وفي هذا المجال
يروى لنا ليسياس Lysias ما حدث حول ٣٨٧ - ٣٨٦ قرب نهاية الحرب
الكورثية : كان الوقت إذ ذاك شديداً على الأثينيين ، إذ أنها ، رغم النجاح المتقطع
الذي كسبته في بعض المعارك . كانت لاتزال أبعد ما تكون من استعادة إمبراطوريتها
البحرية وسيادتها في بحر إيجه ، وكانت السوق الأثينية على وشك التضيق من القمح
وقد زاد الموقف تعقيداً فتوة الشتاء في تلك السنة مما كان له أسوأ الأثر على محصول
الحبوب الضئيل بطبيعته . في هذه الظروف نجد بعض التجار يستغلون الموقف
فيستوردون الحبوب في خوصصة شبه احتكارية ليظروها مرة أخرى بعد أن
يلهب من أسعارها المرض البسيط والطلب المتزايد ، فإذا وجه اليهم بعض اللوم
أنكروا وجودها عندم واحتجوا مرة بالسفن التي حطمت وهي في طريقها من البحر
الأسود أو التي أسرها السكيديميونيون ومرة بالمناطق التجارية التي يحاصرها العدو ،
فإذا لم يكن هناك من الأخبار ما يعتمدون عليه في إخفايتهم للقمح أو رفضهم للأسعار ،
ينقلوا الأشاعات وقدموها كما ذير بدلا من الأخبار (٢٥) . فإذا تركنا الحرب

الذكورية وتوغلتا في القرن الخامس حتى ثلثه الأخير أو قبيل ذلك بقليل تكررت أمامنا نفس الصورة ولكن تحت ظروف أخرى وبتفاصيل أخرى، فنجد ديونيسودوروس Dionysodoros وبارمينيسيوس Parmeniseos يتفان مع كليومينيس Cleomenes، الذي أقامه الاسكندر على الشئون المالية في مصر، اتفاقاً مؤداه أن يحول كل ما يسودانه من القمح إلى مصر حيث يبقى إلى الوقت الذي تزداد فيه حاجة أثينا إلى القمح وترفع، تبعاً لذلك، الأسعار، فيعيدوا استيراده بعد أن يضمنوا سيطرتهم على السوق (٢٧).

٢

- مناجم الفضة
- الثروة البحرية
- الثروة المصالية

على أن ظروف أثينا إذا كانت قد حرمتها محصولاً من الحبوب يكفي حاجة سكانها بالشكل الذي اضطر معه الأثينيون إلى تقنين كل ما يصل بهذه السلعة النادرة وإلى القسوة في تطبيق ما يقتضونه من نظم في هذا المجال، والذي أوجز إلى الاتهازيين بالانتفاع بما يوجد هذا الوضع من فرص للكسب بطريق فيه كثير من الالتواء، والذي انتهى بأن يدفع بالأثينيين في سبيل الحزب إلى المعترك الحشن الذي تناوب فيه الصعود والهبوط سياستهم الخارجية منذ أواخر القرن السادس إلى أن وضع قليب حداً لها في النصف الثاني من القرن الرابع ... إذا كانت ظروف أثينا قسمت عليها في هذا الجانب، فإنها كانت محمية لها في جانب آخر، فتمتحنها مقادير من الثروة التي تضمها في باطن أرضها، أو في الجبال التي تحيط بها، كانت من الوفرة بحيث عوشتها، في أكثر من صورة، عن عرقها الضعيف فيما يختص بالمحصول الزراعي.

أحد جوانب هذه الثروة هو مناجم الفضة التي وجدت في منطقة الوريون الواقعة

في كل الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة أتيكا ، وقد بدأ الآثينيون يستغلونها بشكل جدي في أواخر القرن السادس على عهد بيت بايستراتوس (٧٨) ، حين وجد الطاغية الأثيني ، بعد أن قوض دعائم الحكم الاسترراطي ، أنه لا بد أن يصرف نشاط العامة من الانشغال بالامور السياسية ومناقشة الاساس الذي أقام عليه حكمه إلى جوانب أخرى ترتفع بمستوا المعيشة فتستميلهم إليه بالشكل الذي يضمن لحكمه قاعدة شعبية لا بأس بها . فإذا كانت سنة ٤٨٣ - ٤٨٧ ، اكتشفت مناجم مارونيا Maroneia ، أحد أقسام منطقة اللوريون واستخرج الآثينيون منها ما قيمته مائة ثلثا من الفضة ، وفي هذا الوقت يظهر ثيمستوكليس Themistokles الذي نفا في إقليم فرياروي Phrearroi بالتقرب من منطقة المناجم واستطاع أن يخبر شتونها عن كسب ، فهرب في هذا الكشف الجديد ظرفا موانيا لأن يبرز إلى حين الواقع الفكرة التي كانت تراوده إذ ذاك وهي إغناء أسطول أثيني قوى ، وهكذا يقدم إلى مجلس الاكليريا اقتراحه بأن تخصص الدولة كسبها الجديد من مناجم الفضة لبناء مائة سفينة وينجح رغم معارضة أرمستيديس Aristides في كسب موافقة المجلس على اقتراحه ، (٧٩) ، وقد كانت هذه السفن المائة هي التي كسبت للآثينيين النصر الذي أحرزوه في سلاميس كما كانت نواة الأسطول الذي ارتفع بالقوة البحرية الاثينية إلى الدرجة التي مكنتها بعد الحروب الفارسية من تزعم أول حلف هليبي بحري .

وقد كان لثروة التي جناها الآثينيون من مناجم اللوريون .. إلى جانب مبرعات أعضاء الحلف الدليل التي لم تلبث أن وجدت طريقها إلى الخزانة الاثينية - أثرها الظاهر في إنعاش موقف أثينا الاقتصادي إبان زعامتها في عصر بركليس الذهبي حتى نشوب الحروب البلوغونية . وإذا كانت حملات أسبرطة في سنتي ٤٣٠ و ٤٢٧ في بداية هذه الحروب لم تعرقل العمل في المناجم بشكل خطير فإن إحلال دكليا Dekellia في ٤١٣ وما تبع ذلك من فرار الرقيق الذين كانوا يعملون في هذه المناجم إلى صفوف العدو كان له أثره البالغ في وقف النشاط الاثيني في تعدين الفضة وبالتالي في وضع

حد لا صبر مصدر للدخل الأثني . كما تفياً بذلك ألكياديس Alkibiades (٣٥) ،
الامر الذي أضرب اقتصاديات أثينا لفترة امتدت نحو نصف قرن وبشكل احتاج
إلى اقتراحات مفكر اقتصادي في قدرة زينوفون Xenophon ومشروعات مالي في
قدره الخطيب ليكرجوس Lykurgos قبل أن يعود إليها انتماشها (٣٦) .

جانب آخر من جوانب ثروة أثينا الطبيعية ضارح مناجم اللوريون بل فاتها في
كثير من الأحيان تمثل في وفرة المواد البنائية وتوصها ، فإن جانب الحجر الجيري
الأسمر القاتم الذي صنعت منه المدران الأول لحسن الأكروبوليس وجد حجر كارا
وهو نوع آخر من نفس الحجر السابق يمتاز بكثافة تركيبه ولونه الرمادي المشبع
بحمره ويستخرج من عاجر جبل هيميتوس Hymettos على مسافة خمسة كيلومترات
إلى الجنوب الشرقي من أثينا ، كما وجد نوع ثالث من نفس الحجر أقل صلابة من
سابقه ويضرب لونه الرمادي إلى الصفرة ، وهو النوع الذي استخدم على نطاق
واسع لوضع أسس الأبنية العامة في عهد بركليس .

على أن ثروة أثينا الحقيقية في هذا الجانب تشمل في عاجر الرغام المنتشرة في
أرجائها ، وقد بدأ الأثينيون في التنبه إلى هذه المهاجر منذ عهد بربستراتوس
واستغنموا في بادئ الامر الرغام الأبيض الناعم الذي استخرجوه من المهاجر
التي لا تزال ظاهرة حتى الآن على جوانب جبل بثللكوس Pentelikos ، والذي
شاع استخدامه في النحت والعمارة في عهد بركليس ، وقد كان تأكيد خام الحديد
الذي يحويه هذا النوع من الرغام يكسوه بطبقة ذهبية تميل إلى دكنة خفيفة تزيد في
جماله بمرور الوقت ، كما اتجهوا بعد ذلك إلى الرغام المحرق الذي يميل إلى الزرقة
والذي كانوا يستخرجونه من عاجر هيميتوس السابقة الذكر ، وقد بدأ هذا النوع
يحوذ الإعجاب في وقت متأخر من القرن الرابع ثم زاد الأقبال عليه بصفة خاصة
في العصر الهليني حين كان يفضل على عاجر بثللكوس .

هذه الثروة الطبيعية الضخمة من مواد البناء التي وجدت في متناول

ذوى المواهب ، ظهر أثره واضحا في تزيين الفنانين الإغنيين في ميدان العمارة والنحت فظهر فيدياس Phidias وأتباع مدرسته ، في النصف الثاني من القرن الخامس الذين لا يزال بعض ما خلفوه ظاهرا في أبنية البارثون وفي أروقة المتحف البريطاني وظهر براكتليس Praxiteles صاحب تمثال أفروديتي وهرميس الذي امتاز بطريقته الخاصة في إظهار البشرة المجسمة والعضلات اللينة والوجه المائل إلى كثير من التفكير والتميز . والذي امتد تأثير مدرسته إلى العصر الهلنستي في الفترة بين ٣٧٣ و ١٠٠ ق.م. فظهرت الليونة والتميز اللتين امتازت بهما في تمثال أبولو وغيره ، كما ظهر باراسيوس Parrhasios وكفسودوتوس Kephisodotos وغيرهم من الفنانين الإغنيين الذين برزوا في النحت والعمارة ، من كل نوع ، سواء في ذلك الطراد الأيوني الذي يظهر في مبنى الإريخثيون Erechtheon والبارثون Parthenon ، أو الدوري الذي يظهر في البروبيلايا Propylaea ومدخل الأكروبوليس ، أو الكورنثي الذي اختاره الإمبراطور هادريان للعمدة التي أقيم بها معبد زيوس بعد ان ابتداء بإيستراتوس على النظام الأيوني قبل ذلك بسبعة قرون ٣٣٠ . ولن أحاول سرد الأمثلة العديدة التي ظهر فيه فن النحت والمهار الإغنية في أنصج صوره ولكن يكفي في هذا المجال أن أذكر إلى جانب الأمثلة السابقة ، الهيو الملكي Stoa Basilike ومعبد أبولو وهو أثاليس والثيرميون Theseon والأوديون Odeon والبتولاميون Ptolemaion ومسرحديوننيوس Dionýseos وغير هذه من تحف الفن الإغني التي لم يقتصر صيتها وأثرها على أثينا فحسب وإنما جهر حدودها وبخاصة في العصر الهلنستي ليكون مثالا يحتذى في كل مكان تسربت إليه الحضارة الإغريقية .

وأخيرا ، فالجانح عذرين المصدرين من مصادر الثروة الطبيعية اللذين يوجد هما الإغنيون مرة في مناجم اللوريون ومرة في عاجر هيمتوس وبتلكوس ، امتازت أتيكا بتربتها الصلصالية وبخاصة في منطقة كفسوس Kephissos ، وتحتوى هذه التربة على

نسبة كبيرة من الحديد بحيث تصير حراء اللون بعد حرقها ، كما تدل الأشكال العديدة التي صنعت منها على نسبة غير عادية من المرونة . وقد ابتدأ اتجاه الآثينيين إلى صنع المزهريات وسائر الآنية الخزفية منذ وقت مبكر فظهرت أولا المزهريات التي غوت في أواسط القرن السادس أسواق إتروريا وجنوب إيطاليا وشرق البحر الأبيض والتي كانت دليل الآثريين والمؤرخين عن كثير من جوانب الحياة الاجتماعية في أثينا في ذلك الوقت وعن مدى الاتصال التجاري والحضارى بين أثينا وباقي شواطئ البحر الأبيض ، ثم نطقت هذه الصناعة بوجه خاص ابتداء من أواسط القرن ، منها أيضاً ، في عهد بيرسراتوس فغزى الخزف الآثيني يوبريا Euboea وناكسوس Naxos على حساب خزف ساموس وكورنث و أيجينا كنتيجة للعلاقة السياسية الودية التي أقامها الطاغية الآثيني مع حكام هاتين الجزيرتين ، كما انتشر كذلك في مناطق البحر الاسود بعد أن استتب نفوذ الآثينيين هناك على أثر استيلائهم على ميناء سيجيون (٣٣) .

٣

- الموقع الجغرافى
- الموانئ الجبلية
- الخارج الساحلية

على أن الثروة المعدنية والحجرية والتربة الصلصالية المرة لم تكن كل ما حوت به الطبيعة أثينا ، فان موقعا الجغرافى والظروف التي أحاطت به كانت إحدى الدعام التي ارتكزت عليها أثينا في الاستحواذ على زمامة الهيلينيين في بحر إيجة ، على حساب المنطقتين أو السكتلتين الاخرين اللتين كان من الممكن أن تنبعت عنهما هذه الزمامة ، أما المنطقه الاولى فكانت مجموعة الجزر المتناثرة في بحر إيجة والتي تكون في كثرتها وتقاربها جسراً بين اليونان الاصلية في الغرب والمدن اليونانية المنتشرة على الساحل

الغرب لآسيا الصغرى في الشرق ، وقد كان من الممكن أن تترك فيها السيادة البحرية في هذه المنطقة لو أنها استطاعت أن تكون وحدة في اقتصادياتها وفي اتجاهاتها السياسية ولو أن حدودها كانت في أمن نسبي من أى صدوان خارجي بحيث يتوفر لها الاستقرار اللازم لاستمرار زعامتها . ولكن هذه الشروط لم تتوفر في جزر بحر إيجه ، فان القوة الانفصالية ، التي كانت طامعاً ببلاد اليونان ، وقفت حائلاً دون أى اتحاد ، وفي بعض الأحيان دون أى تقارب ، في مشاربها أو اتجاهاتها السياسية ، وقد أدى هذا بدوره إلى استقلال كل جزيرة من الناحية الاقتصادية بالشكل الذي أصبح من السير معه ، إن لم يكن من غير الممكن إطلاقاً ، أن تقوم لها الدعامة الاقتصادية التي يجب أن يرتكز عليها أى نوع من الزعامة أو السيادة . كذلك كان الوضع الجغرافي لهذه الجزر في الممر البحري بين الفواطم الأوربية والآسيوية قطعة ضعف أخرى في موقف هذه الجزر المتفرقة ، فهي بهذا الوضع تقع في طريق أى هجوم يأتي من الساحل الآسيوي أو يشنه يونان الغرب على هذا الساحل ، وإذا كان مثل هذا الخطر لم يأت إلا مع بداية القرن الخامس ، فان خطراً آخر كان قد ظهر في المياه الإيجية منذ وقت مبكر وأخذ يهدد الأمن والتقاط التجارى في هذه المنطقة . كان هذا هو خطر القراصنة الذين انتشروا في هذه المنطقة على نطاق واسع بشكل أصبحت معه القرصنة أداة اقتصادية تكاد تكون على قدم المساواة مع التجارة ، وفي هذا الصدد يرى لنا صاحب الاوديصة كيف ينال سكان إحدى الجزر ، البحارة الذين رسوا على شاطئهم ، إذا ما كانوا تجاراً لم قرصنة ديجوريون البحار غاطرين بحياتهم ويجلبون النعار على أبناء البلاد الغريبة ، في لحظة ، كما يرى ثوكيديديس ، تم على شيء من التقدير (٣٤) . وقد ساعد على إزدهار القرصنة في منطقة بحر إيجه منذ العهد الهوميرو أن المدن والجزر اليونانية المحيطة بهذا البحر كانت تلجأ إليها فيما يوم بينها من منافسة تجارية كسلاح فعال تدمر كل منها سفن خصوما به وتهب سلسها ، كما حدث بين ميليتوس وساموس وأيجينا الذين كانوا يتنافسون على السوق المصرية

ويذكر لنا هيرودوت فيما يتعلق بهذه النقطة أن بوليكراتيس Polyrates الذي جعل من ساموس قوة بحرية من الطراز الأول في النصف الثاني من القرن السادس كان ينهب أى تجارة دون تمييز وأن المباني والمنشآت العامة التى أقامها فى ساموس قامت كلها بأيدى البحارة الذين أسرمهم قراصنة (٣٥).

فى مثل هذه الظروف كان لا بد أن يتقدم بين جزر بحر إيجه الامن والاستقرار اللازمان للرعاة المنشودة ، والآن لتنتقل إلى المنطقة الثانية التى كان من الممكن أن تظهر فيها زعامة هيلينية بحرية ، وهى نطاق المدن اليونانية الممتد على الساحل الغربى لآسيا الصغرى . لقد ظهرت مدن هذا النطاق بالفعل من وقت مبكر فى مجال التجارة والنشاط الاستعماري وفى ميدان الثقافة ، والأدب غير شاهدها مدى تبكير سكان أيونيا فى المخامرة البحرية حتى مياه البحر الأسود ، كما أن المستعمرات العديدة التى أقامتها ميليتوس فى الشمال الشرقى من بحر إيجه تعتبر من أهم المستعمرات اليونانية فى هذه المنطقة وأقدمها ، وأخيرا فإن القصاصد الهومرية . وهى أقدم أدب يونانى ، ظهرت فى هذا النطاق اليونانى الاسيوى . وقد ساعدت هذه المدن على الوصول إلى هذا المستوى من النشاط فى أغلب جوانب حياتها عدة عوامل أهمها أنها تقع عند مصبات الأنهار التى تنبع من هضبة آسيا الصغرى ، إذ هى بموقعها هذا تتمتع بمحيط لا بأس باتساعه من التربة الخصبة التى تجعلها هذه الأنهار إلى مصباتها وبالتالى فهى فى هذا الجانب من حياتها الاقتصادية ترتكز على دعامة قوية ، ثم إنها بوضعها هذا تقع عند نهاية طرق القوافل التجارية التى تنبع وديان الأنهار فى منطقة تقطعها عرضا سلاسل الجبال بشكل أقرب ما يكون إلى الانتظام ، ومكنا تحكم بالضرورة فى كل تجارة الشرق التى تصل إلى هذه المنطقة المطهرة من آسيا كما تصل إليها طرائف من حضارات التى سبقت حضارة الإغريق (٣٦) .

تلك إذن هى جوانب القوة التى قفرت بالكفة اليونانية الشرقية فى مضمار النهوض وكان من الممكن أن تدفعها إلى مرتبة الزعامة فى العالم الهلينى ، ولكن نقطة

ضعف واحدة قضت على هذه الفرصة السانحة ، وهي أن وديان الانهار التي كانت تنجم قوافل التجارة إلى هذه المدن كانت كذلك هي الطرق الطبيعية التي لا بد أن تسلكها الجيوش الآتية من الشرق ، وهكذا كان لا بد للبلد اليونانية الواقعة على الساحل الآسيوي من أن تقع تحت رحمة أية قوة عسكرية تسيطر على منطقة آسيا الصغرى . حقيقة إن هذه المدن ، كما رأينا ، استطاعت أن تنهض وأن تزدهر في الفترة التي حاصرت وأعقبته إشتاتها ولكن ذلك كان رهنا بالظروف المؤاتية التي أحاطت بها إذ ذاك ، فامبراطورية الحثثيين التي كانت تسيطر على هذه المنطقة كانت قد بدأت تتفكك وتتناور وقت ظهور هذه المدن ، أما فرجيا Phrygia وليديا Lydia وهما الدولتان اللتان سيطرتا بعد ذلك على غرب آسيا الصغرى فقد كانتا مهادتين للبلد اليونانية ، وقد يرجع ذلك ، كما يرجع البعض إلى أن سكانها لم يكونوا شرفيين خالصاء وإنما كانوا مزيجاً من عناصر شرقية وغربية ، كما قد يرجع إلى أي سبب آخر ، ولكنهم كانوا على كل حال غير معادين لليونان .

وإذا كانت ليديا قد مدت قوتها إلى حد كبير على هذه المدن ، فقد كان حكمها ميالين دائماً للتضام مع ماكنيا من اليونان واستمروا كذلك إلى أن سقطت دولتهم في أواسط القرن السادس وإذ ذاك وجد يونان آسيا الصغرى أنفسهم وجها لوجه مع قوة جديدة معادية هي قوة الفرس . القوة الشرقية الخاصة - الأمر الذي وضع حداً للظروف المؤاتية التي حافت هذه المدن منذ نشأتها وهكذا أصبح انهباءها السيامي أمراً مرهوناً بزم قصير . وقد كانت الثورة الإيونية في هذا المجال محاولة يائسة للصراع مع الظروف الجغرافية التي سيطرت على مصير هذه المدن التي زاد من ضعف موقعها صعوبة الاتصال البري بينها بسبب الجبال التي تمتد في هذه المنطقة حرمها بانتظام في عازدة وديان الأنهار عما قصر فرصتها الوحيدة للاتصال ببعضها على طريق البحر ، الأمر الذي لم يكن يجديا على أي حال أمام القوة الفارسية ،

وبسقوط ميليتوس انتهى مجد أيونيا وأمل المدن اليونانية على الساحل الآسيوى
في سيادة المياه الإيجية .

هذه إذن هى المنطقة أو الكتلة الثانية التى كان يمكن أن تظهر فيها زعامة
يونانية بحرية وقد رأينا أنها كادت تحتها ، منطقة الجزر التى تتوسط بحر إيجة ، تشكو
أو بمهارة أكثر تحديدا بدأت تفكو منذ أواسط القرن السادس ، من مشكلة عدم
الاستقرار ، الأمر الذى يفتاقى ودعائم السيادة المطلقة الراسخة . بقيت إذن
الكتلة اليونانية الثالثة فى بلاد اليونان نفسها التى كانت أظهر مدنها أو دولها فى
فى هذه الفترة هى أسبرطة وكورنت وأيجينا وأثينا ، إذ كانت خالكيس Chalkis
وإرتريا Eretria - اللتان كانتا فى طليعة المدن اليونانية ذات النشاط التجارى - قد
أنهكت كل منها الأخرى فى الحرب البيلاقية فى نهاية القرن السابع . أما أسبرطة
فقد كانت بعيدة إذ ذاك عن أية زعامة بحرية ، إذ كان توجيهها الجغرافى بريا أكثر
منه بحريا وباتالى فقد اتجهت إلى التوسع برا عن طريق احتلال المناطق المجاورة أو
فرض سيطرتها عليها ، ضاربة بذلك ، من حيث لا تدرى ، نطفا حول تحركاتها خارج
البلوبونيز بعد أن أصبحت الأقلية الأسبرطية متحكمة فى أغلبية من الجيران Perioikoi
والموال belotai والمسيبيين وأصبح فى انفسها بالأمور الخارجية ، فى ذلك الوقت
بالذات ، مخاطرة بمركزها داخل البلوبونيز . وأما كورنته فرغم نشاطها البحرى
والتجارى ورغم قوتها التى كان من الممكن أن تمهد لزعامتها فى بلاد اليونان نجد أن
وضعا الجغرافى كان يوجه نشاطها واحتمالها نحو المياه القريبة قبل كل شئ . لم يبق
إذن من المدن التى ترشحها الظروف للزعامة فى العالم اليونانى إلا أيجينا وأثينا ،
وقد كان اصطدام هاتين أمرا لا مفر منه إذا أدخلتا فى اعتبارنا الوضع الجغرافى
لجزيرة أيجينا عند منفذ أثينا البحرى على الخليج الساردنى الذى كان لا بد أن
يضيق أثينا إلى حد كبير بعد أن مكنت لنفسها فى سلاميس وبدأت ترمى بأنظارها
عبر حدود أثينا . وقد كانت إيجينا قوة تجارية من الطراز الأول عرفت سفنها

الطريق إلى شواطئ مصر والبحر الاسود من وقت مبكر وعرف سكانها وحكامها الإغراء عن طريق هذا النشاط التجارى (٣٧) ، ولكن لم يقدر لها ، رغم كل هذا ، أن تصمد طويلا في صراعها مع أثينا ، فبعد الحروب الميدية التي لم تكن أكثر من هدنة في سلسلة الصراع بين المدينتين ، فرضتها ظروف الخطر القارسى المشترك ، لم تلبثا أن استأنفتا صدامهما السابق الذى انتهى بمحاصرة أثينا لإيجينا في ٥٩ ؛ واستيلائها عليها بعد ذلك بستين (٣٨) - الأمر الذى وضع حدا لآلة منافسة من جانب إيجينا .

وليس من شك في أن أثينا استعانت في قضائها على قوة غربتها بالموارد التي وجدت تحت تصرفها أثناء زعامتها للحلف الدلى ، ولكن من المؤكد أن ظروف أثينا الجغرافية المواتية كان لها أكبر الأثر في تفوقها على إيجينا وفي زعامتها لحلف دييوس .

ففى المقام الاول نجد أن أثينا تتحكم في مساحة من الارض تفوق كثيرا مساحة إيجينا وبالتالي فقد كان لها السبق على منافستها في مجال الاتفاع بالموارد الطبيعية الوفيرة والاعداد الغيرة من المحاربين وإذا كانت المساحة الواسعة في بعض المناطق مثل تساليا وبويوتيا قد أدت إلى التفكك كنتيجة لتنافس أكثر من مركز من مراكز التجمع السياسى والاقتصادى - الأمر الذى جعل نظام المدن المتحالفة يقوم في هاتين المنطقتين مقام الوحدة السياسية المركزة - فإن ظروف أثينا الجغرافية قد أبعدت عنها مثل هذا التفكك ، إذ أن أثينا كانت المكان الوحيد فيها الذى يتمتع بكل مقومات المركز السياسى والتي لم يكن أى مكان آخر يستطيع أن يقف في طريقها لمدة طويلة من الزمن . وقد ساعدها على ذلك موقعها في وسط أكبر بقعة صالحة للزراعة في أثينا - الأمر الذى مناح من أهميته قوة الأماك الصالحة للزراعة في أثينا . كذلك كانت سهولة اتصالها بالنسب يباقي أجزاء أثينا حاملا في جعلها مركز المواصلات الوحيد في شبه الجزيرة ، حقيقة إن جبال إيجاليوس

Aegaleos تفصلها عن سهل ثريا الذي تقع فيه إليوبسيس (وقد كانت هذه كشتية لذلك ، من آخر المناطق التي دخلت في اتحاد أتيكا) ، ولكن الفجوة التي تفصل بين جبال هيمتوس وبتلكوس جعلت أثينا على اتصال مباشر بسهول الأراضي الوسطى Mesogaea وماراثون ومنطقة المناجم في إقليم اللوريون وأخيرا فان جوار أثينا لمواني فالهرون Phaleron وبيرايسوس Piraeos قد ضمن لها المقام الأول في أتيكا منذ أن اتجه سكان هذه المنطقة إلى ركوب البحر (٣٧) .

وهذا يقودنا إلى النقطة الأخيرة في الحديث عن الظروف الجغرافية التي أحاطت بأثينا ، وكان لها أكبر الأثر في تشكيل تاريخها منذ أن بدأت تظهر كقوة من قوى المرتبة الأولى في بلاد اليونان ؛ هذا الطرف الأخير هو التوجية الجغرافي لأتيكا نحو البحر ، وقد أدت إلى ذلك ، من جهة ، الحواجز الجبلية التي تكاد تفصل بين أتيكا وبين باقي البلاد اليونانية المناخعة لها في شبه الجزيرة البلقانية . حقيقة إن الاتصال ليس سهرا بينما وبين بويوتيا عبر جبال كيثايرون Kithaeron وبارنيس Parnes - وقد كان لذلك نتيجة في النزاع الطويل المستمر بين أثينا وطيبة على مدينة أودروبوس Oropos الواقعة عند الحدود الأتيكية البويوتية والتي تتحكم في الطريق البحري إلى خالكيس وإرتريا واللصقتين على الساحل الغربي لجزيرة بويويا Euboea - ولكن في غير هذا الاتجاه ينطبق الانفصال الجغرافي على أتيكا انطباقا يكاد يكون تاما ، ففي الغرب كانت تفصل بينها وبين جارتها ميغارا Megara جبال كراتا Kerata المنباعدة التي تمتد دون انقطاع بين خليج كورنثة والخليج الساروني بينما يمتد حاجز آخر هو جبال جيرانيا Geranea إلى جانب الحاجز الأول ليمسد الطريق نهائيا بين أتيكا وشبه جزيرة البلوبونيزوس ، وقد كانت النتيجة الطبيعية لكل هذا هو أن اجتمعت أتيكا عن جاراتها في شبه جزيرة المودة بقدر ما اتجهت إلى الشرق ، حيث البحر والتجارة وبحال الزعامة البحرية في المياه الإقليمية

دون أن يعترض سيلها ، ومن جهة جاراتها ، إلا مسألة اتزان جزيرة سلاميس من منطقة نفوذ ميخارا .

وقد كان لأتيكا من تماريحها الطبيعية ما أهلها لهذا الاتجاه البحرى ، إذ أن الجبال الساحلية غير مستمرة مما ساعد على وجود مناطق صالحة للاستعمال كرواقى طيبعية ، فوجدت ميناء *Prasiae* راسىاى التى استخدمت فى فترة مبكرة من تاريخ أتيكا ، قبل أن يحتلب ظهور أثينا ونموها الجزء الأكبر من الحركة التجارية البحرية إلى الخليج البارونى . كذلك وجد خليج ماراثون الذى يصميه لسان أرضى من الرياح الصيفية الشمالية الشرقية ، كما وجدت فى الساحل المقابل فاليريون ومرغنيا *Mounichia* ويرايس ، وهى الموانئ التى سيطر فيها أغلب النشاط البحرى والتجارى لأثينا فى فترة ظهورها السياسى فى القرنين الرابع والخامس (٤٠٠)

وقد كان لهذا التوجه الجغرافى البحرى أثره الواضح فى تاريخ أثينا الذى قد لا نبالغ كثيرا إذا وصفناه بأنه سلسلة من التجارب البحرية ، فأول مغامرة جدية لأثينا فى ميدان السياسة الخارجية تمثل فى الحملة البحرية التى استولت على سيجيون وثاقى مغامرة يصح أن توصف بنفس الوصف كانت لإرسال السفن العشرين لمساعدة المدن الأيونية فى تورطها على الملك الفارسى ، والحملة البحرية التى كسبت لأثينا نصر سلاميس فى أثناء الحروب الفارسية كانت خطة بحرية لموقعة بحرية والحلف اليونانى الذى تألف فى أعقاب الحروب الفارسية تحت زعامة أثينا كان حلفا بحريا فى حوضيته وفى قضايته . وإذا كانت الحروب البلو يونية قد تكونت فى مرحلتها الأولى من سلسلة من الحملات البرية ، فاتها لم تلبث أن انتقلت فى المرحلة الثانية إلى الميدان البحرى فى حقلية وهى على كل حال قد انتهت بهزيمة أثينا فى موقعة بحرية ، فإذا أفادت أثينا فى النصف الأول من القرن الرابع من آثار صدمة إيجوس بوتامى وجدنا الحلف الذى تحاول تدمجه مرة أخرى حلفا بحريا كذلك ووجدنا أن أكبر اشتباك لها مع أعضائه فيها بعد اشتباك بحرى ، وأخيرا فإذا كانت العصرية

التي وجهها اليها فيليب في سول بويوتيا قد تركتها وهي مترنحة فان قضاء مقدونيا
النهائي على استقلالها كان بعد تدمير الأسطول الاثيني في الحرب الالامية في ٣٢٢ ق.م.
هذا ، ولم تكن السياسة الخارجية هي المجال الوحيد الذي ظهر فيه هذا التوجيه
الجغرافي البحري ، بل ظهر كذلك في تنظيمات أثينا الداخلية ؛ ففي الادارة المالية
قسم غصص للأموال التي يتفق منها على بناء السفن ، له أمينه الذي يقسم على
شئونه ho ton trieropion tamias ^(١١) ، كذلك نجد أن أحد واجبات
مجلس المدائنة Boule كان الاشراف على بناء عشرة سفن في السنة ، فإذا لم يتم
بذلك حرم من التاج الذي كان يقدم اليه كعلامة التقدير في آخر العام ، حتى ولو
أدى كل مهامه الأخرى على أكمل وجه ، ^(١٢) .

كذلك كان المواطن الذي يكلف بأعداد سفينة والاتفاق عليها جائزة فخرية
إذا أعد سفينة للإبحار أسرع من غيره ، بينما يقع عليه الجزاء المناسب
إذا تأخر عن موعد الإبحار ^(١٣) ، وأخيرا فعمل تأييد الانجاء البحري على نظم أثينا
لم يظهر في شيء ظهوره في إدارة شئون الأسطول trierarchia التي تعرضت منذ بداية
تنظيمها في أيام ثيسوكليس حتى تعظيم الأسطول الاثيني في ٣٢٢ لاكثر من تغيير وكانت
مجالا للصراع السياسي والاداري في أكثر من مناسبة بين خصمين في قدره ويوسثير
ودهاء إيسثير .

٤

- عمل

من هذا العرض السريع نجد أن الظروف الجغرافية كان لها تأثيرها البالغ في
حياة الاثينيين ، سواء اتخذت مظهر السياسة الخارجية ، أو الاتاج الفنى أو التنظيم
الاستورى الداخلى . حقيقة إنه يكون من الخطأ أن نحاول ، كما فعل جرندى ، ^(١٤) أن
نسب كل شيء في هذه المجالات الثلاثة أو في أحدها إلى الظروف الجغرافية فحسب ،

ولكننا لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن هذه الظروف كانت بين أهم العوامل التي تركت طابعاً واضحاً في المجتمع الإثني منذ أن بدأت أمتنا ترك مكانها بين دول المرتبة الثانية لتزعم بلاد اليونان وبعد أن أفكت من يد هذه الرعاية حتى أنهارت نهائياً أمام القوة المقدونية الفتية . لقد كان لأول هذه العوامل الجغرافية ، وهي المناخ الجاف والربة القفيرة أثرهما في عدم كفاية المحصول الإثني لتوفير الخبز الكافي للإثنيين فاتجهوا إلى الشرق حيث الحقول الخصبة على شواطئ البحر الأسود ، وفي اتجاههم هذا اضطروا إلى الاحتكاك بالقوات الأخرى المتنافسة لإثينا في هذا المجال ، فكان احتكاكهم هذا ، مدار الجزء الأكبر من سياستهم الخارجية ، كما قسوا على أنفسهم في الداخل ، فنظموا شئون القمع في كثير من الدقة وكثير من الشدة . أما الظروف الجغرافية الثابتة التي أثرت في الحياة الإثنية فتمثل في الثروة المحدودة التي قوت بأثينا درجات في مجال الثحث والفن المعماري والثروة المعدنية في مناجم الفضة التي ساعدت أثينا على الوقوف على قدميها في أكثر من مناسبة ، وأخيراً فقد كان لإثينا في موقعها الجغرافي وتضاريسها وتضاريج سواحلها ماعياً لها سبيل الظهور كقوة بحرية ثم سبيل الزكامة في العالم الهليني .

مراش

1. Cary, M.; Geogr. Background of Gr. and Rom. History, p, 76.
2. Struck; Zur Landeskunde von Griechenland: Kulturgesch. und Wirtsch., p. 167.
3. Plato; Kritias, 110e. 111^{ab} B, C.
4. Lepsius; Geologie von Attika, p. 11. Jardé; Les Céréales dans l'Antiq. Gr., p. 72 & n. 2.
5. Xenophon; Poroi, I, 2, 3. Oecon., XVI, 9.
6. Jardé; op. cit., p. 95. Gomme; Population of Ath., pp. 28 sq.
7. Thuk.; I, 2. Strabo; VIII, 1, 2. Dem.; XLII, 5 sq, 20 sq. Jardé; op. cit., p. 51. Boeckh; Staatshaushaltung der Athener, Bd. I, pp. 571 sq.
8. Herod.; VI, 36—39.
9. Ibid.; V, 97.
10. Thuk.; III, 20.
11. Ibid.; II, 19—23. Aristoph.; Acharn., 180 sq., 228 sq.
12. Isokr.; VIII, 29, 42—3, 125, 134. Aesch.; II, 171. Dem.; XXIV, 171; XIII, 6; XV, 26. Theophr.; fr. 65. Diod.; XVI, 7, 3. Corn. Nep.; Timoth. 3.
13. Dem.; XXIII, 10—14, 92, 149—158, 163, 169—173, 181—184. Ps. Dem.; VII, 42—3. I. G. II² 126, 4—21. Diod.; XVI, 34, 3—4.
14. Dem.; Phil. I, 17, 34; Phil. III, 26, 56; Ol. III, 8; XX, 63; XXIII, 107², 116. Ps Dem.; VII, 10, 27. Diod.; 8, 3—5; 52, 9; 53, 2—3.
15. Dem.; XX, 30 sq. Hicks & Mills; Manual of Gr. Hist. Inscr., 111.
16. Dem.; I, II, III, Phil. I, II, III, IV, X, 37.
17. Isokr.; VIII, 5—6, 12, 16, 22—23.
18. Aristot.; Ath. Pol. XXVI, 4.
19. Plutar.; Solon' XXIV.

20. Aristot.; Ath. Pol. LI, 3.
21. Lysias; XXII, 8, 10, 14.
22. Dem.; XXXIV, 37; XXXV, 50.
23. Pollux; VIII, 33. Aristoph.; Vesp., 1109.
24. Dem.; XXXIV, 37.
25. Dem.; XXXIV, 39.
26. Lysias; XXII, 8, 10, 14.
27. Dem.; LVI, 7 sq.
28. Herod.; I, 64.
29. Herod.; VII, 144, Aristot.; Ath. Pol., XXII, 7. Plut.; Themist. 4.
30. Thuc.; VII, 19, 27.
31. Xen.; Poroi, I, 5sq.
32. Weiler; Ath. and its Monuments. 29-47; Cary & Haas, Hoff.,
Life and Thought of the Gr. and the Rom. pp. 220-5.
33. Richter; Attic Pottery, p. 24. Cloché; La Démocr., Ath. p. 13.
Kühler; Altattische Malerei; pp. 1, 7, 9, 35 sq.
43. Thuc.; I, 5. Homer; Od. III, 72, IX, 252.
35. Herod.; III, 39, 47-8, 60. Halliday, Growth of the City State,
p. 398nn. 26, 27, 28.
63. Halliday; op. cit p. 35.
37. Herod.; II, 178-9; VII, 147; IV, 152.
38. Ibid.; V, 79-88; VI, 49-73. Thuc.; I, 105, 108.
39. Cary; op. cit., pp. 78-9.
40. Ibid.; p. 77.
41. Dem.; XXII, 17.
42. Aristot.; Ath. Pol., XLII, 8, 11-12,
43. Dem.; LI, 1, 4, 6, 18. I.G. II² 1629 a, 190 sq.
44. Grundy; Thuc. and the Hist. of his age.



